

بسم الله الرحمن الرحيم
خطبة جمعة / الواحة / ٢١ / ٦ / ١٤٢٨ هـ

لم شهدتم علينا

أيها المؤمنون قال ربكم جل وعلا : { ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون }^١ . هذا مشهد من مشاهد يوم القيامة ، يوم تبلى السرائر ، وتكشف الحبايا ، ويشيب المولود ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ، في ذلك اليوم يرى الذين خالفوا أمر الله ، وكذبوا رسل الله ، يساقون ، ويدفعون إلى جهنم ، وقد أوقف أوائلهم لتلحقهم أواخرهم . وفي هذا الموقف العظيم ، لا يمكن الفرار من الجوارح وما كسبت ، ولا يمكن إنكار المكاسب والمعائب ، التي جناها الإنسان على نفسه في الدنيا ، في هذا الموقف العظيم يكون على المرء شاهد من نفسه ، ينطق بما فعل { حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون }^٢ .

وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) : كنا عند رسول الله ص فضحك ، فقال : (هل تدرون مم أضحك)؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : (من مخاطبة العبد ربه يقول : يا رب ، ألم تجرني من الظلم ، قال : بلى ، قال : إني لا أجزى اليوم على نفسي إلا شاهداً مني ، قال : يقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً ، وبالكرام الكاتبين شهوداً ، قال : فيختم على فيه فيقال لأركانه انطقي ، فتنتطق بأعماله ، قال : ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول : بعداً لكن وسحقاً فعنكن كنت أناضل) .

عباد الله حقاً إنه الموقف العصيب ، والمصير المريب ، يوم يقف الإنسان يوم القيامة وقد ختم على فيه ، ونطقت جوارحه ، بما يهلكه ويخزيه .

١- سورة فصلت ، الآية ١٩ .

٢- سورة فصلت ، الآية ٢٠ .

تنطق الأعين بما شهدت من شاهدة من الحرام ، وبما أنكرت من الآيات والدلائل العظام ، التي تدل على الخالق سبحانه وتعالى .

وتنطق الأسماع بما سمعت من محرم الكلام .

وتنطق الألسن بما بذلته من سيء الكلام .

وتنطق الفروج بما فعلته من الزنى واللواط ، وانتهاك الأعراض ، وما جرى لها من عظام الآثام .

وتنطق الجلود بما باشرته من المحرمات . في سائر الأيام .

ولكن يا عباد الله ما هو موقف أصحاب هذه الجوارح من جوارحهم عندما تنطق عليهم عندما تنطق عليه بما يخزيهم ، وتشهد عليهم بما يرددهم ، لاشك أنهم سوف يحاولون تأنيبها ، إن استطاعوا تكذيبها ، ولكن هيهات لهم ذلك . فيحاولون قائلين لجلوده لم شهدتم علينا ؟ فتزد الجلود قائلة : أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون .

ويقال لهم تبكيتاً وتوبيخاً { وما كنتم تستترون أن يشد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ، ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون . وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين } ٣ .

عباد الله إن الإنسان يستطيع أن يختفي ويستتر بجرائمه عن الناس خوفاً منهم ، أو خشية الإخبار عنه ، والشهادة عليه بما فعل ، ولكن كيف يستطيع أن يخفي معاصيه وجرائمه عن عينه ، وعن يده ، وعن رجله ، وعن فرجه ، وعن جلده .

كيف يستطيع إخفاء النظر المحرم عن عينه وهي التي تنظر .

كيف يستطيع إخفاء الكلام القبيح عن اللسان وهو الذي ينطق .

كيف يستطيع إخفاء الزنى واللواط عن الفرج وهو الذي يفعل .

كيف يستطيع إخفاء اللمس المحرم عن الجلد وهو الذي يباشر .

هذه الجوارح التي لا يمكن الاختفاء عنها ، وهي التي تباشر المعاصي بنفسها ، هي التي سوف تقف شاهدة على صاحبها يوم القيامة بما فعلت . إذن كيف الخلاص؟ لا خلاص إلا بالبعد عن هذه المعاصي المهلكة ، حتى لا تجد الجوارح ما تشهد به من القبائح .

فلنتق الله يا عباد الله ، ولنخشى يوماً تبلى فيه السرائر ، وتكشف الخبايا ، ولا يستطيع العبد جحود ذنوبه ، كما تشهد الأرض مع الجوارح ، وتشهد الأيام والليالي . وما أحسن قول القائل :

العمر ينقص والذنوب تزيد وتقال عثرات الفتى فيعود
هل يستطيع جحود ذنب واحد رجل جوارحه عليه شهود
والمرء يسأل عن سنيه فيشتهي تقليلها وعن الممات يحيد
عباد الله على المؤمن أن يبادر بفعل الخيرات ، وأن يكثر الصالحات ، وأن يتوب من ذنبه ، ويندم على ما فرط منه ، عسى أن يبدل الله سيئاته حسنات ، وأن يوفقه لأداء الطاعات ، ولايرجيء التوبة وفعل الخيرات إلى غد فالإنسان لا يضمن الغد ، وما أحسن قول القائل :-

مضى أمسك الأدنى شهيداً معدلاً ويومك هذا بالفعال شهيد
فإن تك بالأمس اقترفت إساءة فثن بإحسان وأنت حميد
ولاترج فعل الخير منك إلى غد لعل غد يأتي وأنت فقيد
فبادر أخي المسلم بالتوبة والإنابة إلى الله تعالى يتوب الله عليك ويغفر ذنبك ، قال تعالى : { وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى } .

الخطبة الثانية